

كتاب مفتوح إلى أمانة العاصمة

شكوى الشوارع والحدائق من مصلحة الحدائق

مازلت منذ عدة سنوات ألاحظ أشجار شوارع دمشق وحدائقها التي تشرف عليها مصلحة الحدائق التابعة إلى أمانة العاصمة وأرى فيها نواقص ونقائص فنية تدعو لأسف الغياري على جمال مدينتنا دمشق وزينتها التي يجب أن تكون قدوة لغيرها من مدن سورية على الأقل وتدعو أكثر لأسف الذين زاروا بلاد العالم المتمدن ورأوا ما فيها من شوارع مشجرة أحسن تشجير وحدائق ذات زينة وبهجة تأخذان بمجامع القلوب. وملاحظتي هذه ما هي إلا بدافع حبي لوطني الذي أريد أن لا يكون مقصراً عن غيره في هذا المضمار وبدافع اختصاصي وولعي بفن الزراعة عامة وهندسة الحدائق والرياض خاصة. لاسيما وقد حرمت دمشق مدينة الخضرة والنضرة من بساطين الصالحية الغناء التي كانت وثابة الدمشقيين ومننزهاتهم بعد أن امتد رواق العمران إليها وامتلأت أو أوشكت أن تمتلئ حتى الربوة بالمباني الضخمة المتعددة الطبقات ومما كنت ألاحظه في شوارع دمشق أن مئات من الحفر المعدة للغرس بالأشجار التزيينية ما زالت فارغة منذ أربع أو خمس سنوات ومصلحة الحدائق المسؤولة معرضة عنها لا تحرك ساكناً لإملائها في مواسم الغرس، وإن الحدائق التي تتفق عليها أمانة العاصمة المبالغ الطائلة ووضعت فيها حديثاً من العمال ليست على ما ينبغي أن تكون بهجة للناظرين وملاذاً للزائرين في كل من فصول السنة، ولهذا السبب وعقب (عيد الشجرة الذي احتفل به خلال شهر كانون الأول الماضي في ذروة جبل قاسيون بادرت لكتابة كلمة في أحد أعداد

جريدة (الأيام) لفت فيها أنظار أمانة العاصمة إلى ضرورة إملاء الحفر الفارغة في الشوارع قبل انقضاء موسم غرسها كما انقضت مواسم الفنين السابقة. ولما انقضت الأسابيع ولم أجد قارئاً لكلمتي وسامعاً لصرختي قصدت في آخر شهر كانون الثاني الماضي مدير الشؤون الإدارية في هذه الأمانة وشرحت له الأمر ورجوته أن تشفق أمانة العاصمة على مدينة دمشق ذات الشوارع القرعاء والحدائق الجوفاء وذلك بأن توقف مصلحة الحدائق من رقدتها وتدعوها إلى أن تؤدي واجبها في هذه الآونة التي تغرس فيها الأشجار. فشكرني جنابه على تنبيهي هذا ووعدني بأن يجري اللازم. ولبثت أنتظر دون جدوى. وقد انتهى شهر شباط وحل (سعد السعود) الذي تدب فيه الماوية في العود وضاع موسم الغرس الخامس وراحت كلمتي التي كتبتها في الأيام ومراجعتي الشفهية لحضرة مدير الأمور الإدارية أدرج الرياح. وكنت سألت عن سبب هذا الاستهتار فقل لي إن مدير هذه المصلحة مسافر يقضي شهر العسل في ربوع أوروبا. ووكله غير أخصائي بفن الحدائق ولا يجد حافزاً للعمل في غياب الأصيل. وإن سفر المدير هو على حساب أمانة العاصمة وبحجة اقتباس معلومات جديدة في هندسة الشوارع والحدائق لأجل جلب مستحدثات ونماذج فريدة يضعها في شوارع دمشق وحدائقها. وقيل إن شهور العسل والأسفار والحج قد تكررت وجرت في عدة سنوات مضت وعلى حساب أمانة العاصمة دائماً دون أن تجد مرجعاً عالياً يسأل عن حصيلتها وفائدتها. لأن دمشق وشوارعها وحدائقها لم تر مقبسات ومستحدثات غير التي تعرفه منذ أمد بعيد. ولأن الشوارع لا تزال قرعاء. يرى السائر في شوارع الصاحية والمهاجرين وغيرهما مثلاً حفرة مغروسة هنا وعدة حفر فارغة هناك. والحدائق لا تزال جوفاء، وعلى ما يفعله فيها عمال سذج.

ويبدون إبداع وجمال ملحوظين. ولم نعلم سبب ذلك، هل هو من فقدان الغراس والشتول والبزور فإن كان كذلك، لماذا لا توجد مصلحة الحدائق المسؤولة هذه المواد في مشانئها وما هو عمل هذه المصلحة وموظفيها ومآلها الكثيرين إذن. وإن كانت هذه الغراس موجودة وموفرة ما السبب في عدم غرسها في مواسمها التي ضاعت. هذا إلى أن الأشجار القائمة التي وضعتها مصلحة الحدائق فيما مضى من السنين (ازدخنت ودردار ودلب.. الخ) ليست مما تحمد عليه فهي من أجناس وأحجام متنوعة وغير متناسبة في الحجم والشكل والتقليم، بعضها في جانب بعض. بينما يوجد ما هو أصلح منها وأبهج للنظر وأطوع للتقليم والتشكيل يمكن اقتباسه وجلبه من البلاد التي زينت شوارعها به. ثم هذه الحدائق المتعددة في بعض أحياء دمشق وميادينها مما تشكر عليه أمانة العاصمة، على كل حال ليست أيضاً مما تحمد عليه مصلحة الحدائق. فلا ورود ورياحين تعطر الأنفاس في كل من فصول السنة الأربعة. ولا أشجار وأنجم تزيينية حديثة تسر الأنظار كالتى توجد في أي من حدائق مدن العالم المتمدن. وجل ما في حدائقنا هو مما يعمل أبسط عامل حدائقي. ومازال أمرها مقتصرأ على مروج خضراء بسيطة مقتطعة من ضفاف بردى أو مستنقعات ناحية النشابية، وعلى أشجار صنوبرية حراجية عادية ولا شيء سوى ذلك مما ينبغي أن يأخذ بجامع القلوب كما هو الحال في بلاد الغرب. وقد يكون حضرة مدير مصلحة الحدائق رآها في سفارته التي تتكرر كل عام أو عامين وكان المنتظر أن يعمل في ما عهد إليه لو أحاط علمه بها وصحت عزمته. ولأجل أن لا يتكرر هذا الاستهتار الذي أشكو منه في موسم 1963 . 1964 القادم ولكي لا تبقى شوارع مدينتنا وحدائقها عرضة لنقد العارفين وأسفهم بادرت إلى تذكير أمانة العاصمة

من الآن راجياً أن تهتم لهذا الأمر الذي هو حيوي أيضاً ومدار زينة هذه المدينة ومفترح لسكانها لاسيما وهي تتفق عليها الأموال الطائلة دون جدوى تروى الغليل. وحبذا لو تسأل هذه الأمانة البلاد التي فيها أخصائيون وخبراء في هندسة الحدائق وغرسها وتجلب واحداً من هؤلاء يكون أوسع معرفة وأمضى عزيمة وأكثر شفقة على دمشق وأقوى صلة بحرقته من هؤلاء الذين لدينا بعد أن ثبت عدم توفير هذه الشروط فيهم طوال هذه السنين.

6 آذار 1963

المهندس الزراعي المتقاعد

أحمد وصفي زكريا